

أضواء البيان

. @ 353 @

فقوله : زلفى ، ما ناب عن المطلق من قوله ليقربونا ، أي ليقربونا إليه قرابة تنفعنا بشفاعتهم في زعمهم . .

ولذا كانوا يقولون في تلبيتهم : لبيك لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك . .
وقد قدمنا في سورة المائدة في الكلام على قوله تعالى : { وَابْتَغُواْ إِلَـيْهِ
الْوَسِيلَةَ } أن هذا النوع من ادعاء الشفعاء ، واتخاذ المعبودات من دون الله وسائط من أصول كفر الكفار . .

وقد صرح تعالى بذلك في سورة يونس في قوله جل وعلا { وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ قُلْ أَتُذَكِّرُونَ اللّهِ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَہُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } . .
فصرح تعالى بأن هذا النوع ، من ادعاء الشفعاء شرك بالله ، ونزه نفسه الكريمة عنه ، بقوله جل وعلا { سُبْحَانَہُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } وأشار إلى ذلك في آية الزمر هذه ، لأنه جل وعلا لما قال عنهم : { مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لَّيْقَرَّ بِوُجْهِهِ إِلَى اللّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللّہَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ } أتبع ذلك بقوله تعالى : { إِنَّ اللّہَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ } . .

وقوله : كفار ، صيغة مبالغة ، فدل ذلك على أن الذين قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى جامعون بذلك ، بين الكذب والمبالغة في الكفر بقولهم ذلك ، وسيأتي إن شاء الله لهذا زيادة إيضاح في سورة الناس . قوله تعالى : { لَّوْ أَرَادَ اللّہُ أَن يَتَخَذَ وَلَدًا لَّامُطَفًى مِّمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَہُ هُوَ اللّہُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ } . قد قدمنا الآيات الموضحة ، بكثرة في سورة النحل ، في الكلام على قوله تعالى : { وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَہُ وَلَهُمْ مَّا يَشْتَهُونَ } . قوله تعالى : { خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا } . ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة ، أنه خلق بني آدم من نفس واحدة هي أبوهم